حقيقة تاريخية . ومن هنا ، بدأت تهتز بعنف وصرت تنشق . لا يعوزك البحث عن عزاء . ليس العزاء قضية . تستطيع القول مثلا : اني لم اختر ظروفي . وتستطيع القول مثلا : هذا التناقض قائم ، ولكنه ليس القضيـــة السياسية المطروحـــة الآن . سينفجر التناقض ذات يوم . وان هذا الانتظار يشكل عقدة نفسية . ومسألة تحقيق الانسجام مع النفس شرط للقناعة ...

ولكنك تترك السؤال معلقا . والشعر هو لغتك . واللغة الشعريـــة تتلافى مواجهة السؤال القاتل . الشعر يقول ولا يقول . الشعر يقول الحقيقة ولا يعلنها . هذا وطنك، والرد على الغزاة ـــ مزيد من الحب لهذا الوطن . لان اي وهن في العلاقة بينكما منفذ للغزاة . يضعون فلسطين في جيوب بزاتهم العسكرية . وتبقى فلسطـــين وطنك .. خارطة ، او مذبحة ، او ارضا ، أو فكرة . انها وطنك . ولن يقنعك الخنجر بأنها لهم . ان التحدي وهذا السجن يحميانك من اعادة النظر . شكرا للسجان الذي يجعلنـــي والحرية معادلة واحدة . شكرا للقيد الذي يذكّر زنديّ بأنهما محرومـــان من معانقة الشجر . وتكتب الى حبيبتك الوهمية : « أتمنى لك اليأس ، يا حبيبتي ، لكي تصيري مبدعة . اليائسون هم المبدعون . لا تنتظريني ، ولا تنتظري أحدا . انتظري الفكرة ولا تنتظري المفكر . انتظري القصيدة ولا تنتظري الشاعر . انتظري الثورة ولا تنتظري الثائر . المفكر يخطىء . والشاعر يكذب ، والثائر يتعب . وهذا هو اليأس الذي أعنيه».

لم تعانق ظلالا لتندم .

والفرح الذي فاجأك هو الحالة الطارئة . كانت خيانة قاسية . لا بأس . تواصل حياتك وعملك وتمزقك وتناقضك . وقبل كل شيء تواصل رفضك . لن تقول نعم لشيء . لقد خرجت من الفرح بهزيمة ، وخرجت من الهزيمة برفض جديد ليس للعدو وحده . هل صار وطنك فكرة ؟ التصق بالفكرة . والطريق من حيفا الى تل أبيب هو المعجزة الجمالية الحقيقية . البحر الابيض المتوسط على يمينك ، وسلاسل الجبال على يسارك، وسلاسل الحديد حول زنديك . والوطن ، يكون أجمل ما يكون عبر الاسلاك .

وفي المحكمة يتحقق التكافؤ بين القانون والمدفع . لن يقف القانون معك ، ما دام مدفعك ساقطا . والقتلة دائما يتحدثون عن الاخلاق بأشكال مختلفة . يأتيك جنود « ليندموا » على عمليات القتل والتخلص من الاسرى ويقولون « لا مفر » . وتأتيك صديقة قديمة بحفنة لوز من الضفة الغربية . ما عادوا يشعرون بالخوف ـــ ما عادوا يهودا . وفي عكا، ترى أسرى مصريين ، يسقط قلبك . جاءوا يحررونك فوقعوا في الاسر . ويأتي العرب الذين كنت تنتظرهم . اللاجئون يعودون .. يعودون سياحا وأسرى . تخفت الاناشيد العربية ، وتعلو الاناشيد العبرية . والاسرائيلي يتحول الى أسطورة . وفلسطين تنام مرة أخرى في جيوب الفاتحين وعلى ضفاف الانهار البعيدة . فلسطين وسيناء ، فلسطين والجولان . لم يلتقوا في الحرية ، والتقوا في الاسر . وفلسطين تنام على ضفاف الانهار البعيدة ، لا تستحم بالماء ولكنها تستحم بالدم القادم . هل تكون ولادة جديدة ؟ هكذا يجب ان تكون . لا بد من ولادة . هل يصقلنا الموت ؟ هكذا يجب ان يكون . لا بد ان يصقلنا الموت . ستبدأ المقاومة . ستبدأ المقاومة . انتهى كل شيء . وتبدأ المقاومة . واذا جاءك الفرح ، مرة اخرى ، فلا تذكر خيانته السابقة .

ادخل الفرح .. وانفجر !..